

ذو جاذبية وفلاحة ذات جاذبية ويصفونهم بحجة لروح وخفة الدم . ومن الناس من يهاهم كل من يجالسهم وأن كان من أقرانهم وأهل للكهربائية أثر في كل ذلك تظهره الأيام ويكشفه العلماء . فأين حديث الخوارق الكونية ، من هذه العلل الطبيعية ، ولا يهولن القارى تأثير الانسان في الآلات الكهربائية فقد ثبت ان للتأثير تأثيراً عجيباً فيها تنهوا الى هذا حين ثبت ان قطا وقف على سلك من أسلاك المسررة ( التليفون ) فأبطل عمله . فان قلت انه متأثر فيه الا باتصاله به فكيف يؤثر الانسان في كهربائية لم يتصل بالآتها ؟ أقول لا يعد ان ينتقل التأثير بواسطة كهربائية الجو أو الهواء أو الاثير ونحن في عصر يخاطب الناس فيه بالكهربائية من غير واسطة الاسلاك وهو ما يسمونه ( تلغراف ماركوني ) فهل يليق بأهل هذا العصر ان يقلدوا الميتين من بضع مئين من السنين أو أكثر في مزاعم غريبة عن العتل غير قريبة من النسرع ، وقولوا مع ذلك ان عقولهم أرقى من عقولنا ، وعلومهم أغزر من علومنا ، كلا انما يرضى بهذا من احتقر نعمة الله على أهل عصره ، وسجل الخزي والحسار على نفسه ، فانكر كرامة الله له ليثبت كرامته لآخرين ، وخسر بجهله الدنيا والآخرة وذلك هو الحسيران الميين

### مناظرة بين مقلد وصاحب حجة

لما نشرنا تلك المحاورات بين المصلح والمقلد في بحث الاجتهاد والتقليد ووحدة الامة الاسلامية في المجلدين الثالث والرابع من الماركب التناقض الفضلاء من قراء المنار في البحرين يسألنا : هل اطلقتم على كتاب اعلام الموقعين للإمام ابن القيم ؟ فأجيبناه اننا لم نطلع عليه ولكننا رأينا في بعض الكتب نقلا عنه عرفنا به مكانته . فكتبنا لينا ثانيا ان فيه مناظرة بين مقلد وصاحب دليل كالمناظرة التي نشرتموها واتنا سنرسل اليكم نسخة منه ولم يابث ان أرسلها وكانت مقالات المحاورات قد تمت . وقد رأينا الآن ان تنشر هذه المناظرة أيضاً لأن هذا المبحث أهم المباحث والاجتهاد ركن من أركان الاصلاح بل هو أقوى أركانه . ولقد أورد المصنف شبه المقلد كلها سرداً ثم ذكر حجج متبع الدليل الناهضة والناقضة لأقوال المقلد وشبهه واحدة بعد واحدة ولذلك ترك شبهات المقلد خشية التكرار وابتدي بالحجج فنقول : قال المؤلف رحمه الله تعالى وتقمنا به :

(قال أصحاب الحجة) عجبا لكم معاصر المقلدين الشاهدين على أنفسهم مع شهادة أهل العلم بأنهم ليسوا من أهله ولا معدودين في زمرة أهله كيف ابطتم مذهبكم بغير دليلكم فما للمقلد وما للاستدلال وأين منصب المقلد من منصب المستدل وهل

ذكرتم من الأدلة الاثباتية ما استمرتموها من صاحب الحجة فتجملتم بها بين الناس وكنتم في ذلك متشبعين بما لم تعطوه ، ناطقين من العلم بما شهدتم على أنفسكم أنكم لم تؤتوه ، وذلك ثوب زور لبستموه ، ومنصب لستم من أهله غصبتوه ، فأخبرونا هل صرتم الى التقليد لدليل قادكم اليه ، وبرهان ذلكم عليه ، فنزلتم من الاستدلال أقرب منزل ، وكنتم به عن التقليد بمنزل ، أم سلكتم سبيله اتفاقاً وتحمينا من غير دليل ، وليس الى خروجكم من أحد هذين القسمين سبيل ، وأيهما كان فهو بفساد مذهب التقليد حاكم ، والرجوع الى المذهب الحجة منه لازم ، ونحن ان خاضناكم بلسان الحجة قلتم لنا لنا من أهل هذه السبيل ، وان خاطبناكم بحكم التقليد فلا معنى لما قلتم من الدليل ، والمعجب ان كل طائفة من الطوائف وكل أمة من الامم تدعي انها على حق طاشا فرقة التقليد فمنهم لا يدعون ذلك ولو ادعوه لكانوا مبطين فاتهم شاهدون على أنفسهم بأنهم لم يعتقدوا تلك الاقوال لدليل قادهم اليه ، وبرهان ذلكم عليه ، وانما سبيلهم محض التقليد والمقلد لا يعرف الحق من الباطل ، ولا الحالي من العاطل ، وأعجب من هذا ان أمتهم نهوهم عن تقليدهم فقصوهم وخالفوهم وقالوا نحن على مذاهبهم وقد دانوا بخلافهم في أصل المذهب الذي بنوا عليه فانهم بنوا على الحجة ونهوا عن التقليد وأوصوهم اذا ظهر الدليل أن يتركوا أقوالهم ويتبعوه بخالفوهم في ذلك كله وقالوا نحن من أتباعهم ، تلك أمانتهم وما أتباعهم الا من سلك سبيلهم واقتفى آثارهم في أصولهم وفروعهم . وأعجب من هذا أنهم مصرحون في كتبهم ببطلان التقليد وتحريمه وانه لايجل القول به في دين الله ولو اشترط الامام على الحاكم ان يحكم بمذهب معين لم يصح شرطه ولا توليته ومنهم من صحح التولية وأبطل الشرط . وكذلك المفتي يحرم عليه الافاء بما لا يعلم بحجته باتفاق الناس والمقلد لا علم له بصحة القول وفساده اذا طريق ذلك مسدودة عليه . ثم كل منهم يعرف من نفسه انه مقلد لتبوعه لا يفارق قوله ويترك له كل ماخالفه من كتاب أو سنة أو قول صاحب أو قول من هو أعلم من متبوعه أو نظيره وهذا من أعجب العجائب

(وأيضاً) فانا نعلم بالضرورة انه لم يكن في عصر الصحابة رجل واحد اتخذ رجلاً منهم يقلده في جميع أقواله فلم يسقط منها شيئاً وأسقط أقوال غيره فلم يأخذ منها شيئاً ،

ونعم بالضرورة ان هذا لم يكن في التابعين ولاتابعي التابعين فليكن بنا المقلدون برجل واحد سلب سبيلهم الوخيمة في القرون الفضيلة على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانما حدثت هذه الفتنة في القرن الرابع المذموم على لسانه صلى الله عليه وآله وسلم فالقلدون لتبوعيتهم في جميع مآقوله يبيحون به الفروج والدماء والاموال ويحرمونها ولا يدرون اذلك صواب أم خطأ على خطر عظيم ولهم بين يدي الله موثف شديد يعلم فيه من قال على الله ما لا يعلم انه لم يكن على شيء

(وايضاً) فنقول لكل من قلده واحداً من اناس دون غيره: ما الذي خص صاحبك ان يكون أولى بالتقليد من غيره؟ فان قال لانه اعلم أهل عصره وربما فضله على من قبله مع جزمه الباطل أنه لم يجيء بعده اعلم منه . قيل له : وما يدريك ولست من أهل العلم بشهادتك على نفسك أنه اعلم الأمة في وقته فان هذا انما يعرفه من عرف المذاهب وادلتها وراجحها ومرجوحها فما للأعمى وتقد الدراهم . وهذا أيضاً باب آخر من القول على الله بلا علم .

ويقال له (ثانياً) فأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وعائشة وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم اعلم من صاحبك بلاشك فهلا قلدهم وتركته بل سعيد بن المسيب والشعبي وعطاء وطاوس وامثالهم اعلم وافضل بلاشك فلم تركت تقليد الاعلم والافضل الاجمع لادوات الخير والعلم والدين ورغبت عن أقواله ومذاهبه الى من هو دونه . فان قال : لان صاحبي ومن قلده اعلم به مني فتليدي له اوجب على مخالفة قوله لقول من قلده لان وفور علمه ودينه يمنعه من مخالفة من هو فوقه واعلم منه الالليل صار اليه هو أولى من قول كل واحد من هؤلاء: قيل له : ومن أين علمت ان الدليل الذي صار اليه صاحبك الذي زعمت أنت أنه صاحبك أولى من الدليل الذي صار اليه من هو اعلم منه وخير منه أو هو نظيره . وقولان مما متاقضان لا يكونان صواباً بل احدهما هو الصواب ومعلوم ان ظفر الاعلم الافضل بالصواب أقرب من ظفر من هو دونه : فان قلت : علمت ذلك بالدليل فهنا اذا فقد انتقلت عن منصب التقليد الى منصب الاستدلال وأبطلت التقليد ثم قال لك (ثالثاً) هذا لا ينفعك شيئاً البتة فيما اختلف فيه فان من قلده ومن قلده غيرك

قد اختلفا وصار من قلده غيرك الى موافقة أبي بكر وعمر أو علي وابن عباس أو عائشة وغيرهم دون من قلده فهلا نصحت نفسك وهديت لرشدك وقلت هذان عالمان كبيران ومع احداها من ذكر من الصحابة فهو أولى بتقليدي إياه .

ويقال له (رابعاً) إمام بامام ويسلم قول الصحابي فيكون أولى بالتقليد .

ويقال (خامساً) إذا جاز أن يظفر من قلده بعلم خفي على عمر بن الخطاب وعلى علي بن أبي طالب وعبدالله ابن مسعود ودونهم فأحق وأحق فأجوز وأجوز أن يظفر نظيره ومن بعده بعلم خفي عليه هو فان النسبة بين من قلده وبين نظيره ومن بعده أقرب بكثير من النسبة بين من قلده وبين الصحابة . والخفاء على من قلده أقرب من الخفاء على الصحابة .

ويقال (سادساً) اذا سوغت لنفسك مخالفة الأفضل الاعلم بقول المفضول فهلا سوغت

لها مخالفة المفضول لمن هو أعلم منه وهل كان الذي ينبغي ويجب العكس ما ارتكبت

ويقال (سابعاً) هل أنت في تقليد امامك وابعادة الفروج والدماء والاموال ونقلها

عن هي بيد ما الى غيره موافق لامر الله أو رسوله أو اجماع أمته أو قول أحد من الصحابة ؟

فان قال : نعم : قال ما يعلم الله ورسوله وجميع العلماء بطلانه وان قال : لا : فقد كفانا

مؤنته وشهد على نفسه بشهادة الله ورسوله وأهل العلم عليه .

ويقال (ثامناً) تقليدك لمتبوعك يحرم عليك تقليده فانه نهاك عن ذلك وقال لا يحمل لك

ان تقول بقوله حتى تعلم من أين قاله ونهاك عن تقليده وتقليد غيره من العلماء فان

كنت مقلدا له في جميع مذهبه فهذا من مذهبه فهلا اتبعته فيه .

ويقال (تاسعاً) هل انت على بصيرة في أن من قلده أولى بالصواب من سائر من

رغبت عن قوله من الاولين والآخرين أم انت على بصيرة ؟ فان قال : أنا على بصيرة : قال

ما يعلم بطلانه . وان قال : لست على بصيرة : وهو الحق قيل له : فساء عندك غدا بين

يدي الله حين لا ينفعك من قلده بحسنة واحدة ولا يحمل عنك سيئة واحدة اذا حكمت

وأفتيت بين خلقه بما لست على بصيرة منه هل هو صواب أم خطأ .

ويقال (حادي عشر) هل تقول اذا أفتيت وحكمت بقول من قلده : ان هذا هو دين

لله الذي أرسل به رسوله وأنزل به كتابه وشرعه لعباده ولادين له سواء ؟ أو تقول : ان

دين الله الذي شرعه لعباده خلافة؟ أو تقول: لا أدري؟ ولا بد لك من قول من هذه الأقوال ولا سبيل لك إلى الأول قطعا فان دين الله الذي لا دين له سواه ولا تسوغ مخالفته (١) وأقل درجات مخالفته ان يكون من الآمنين والثاني لا تدعيه فليس لك ملجأ إلا الثالث .  
 فيالله العجب كيف تستباح الفروج والدماء والاموال والحقوق وتحلل وتحرم بأمر أحسن أحواله وأفضلها « لا أدري » :

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة وان كنت تدري فالمصيبة أعظم

ويقال (ثاني عشر) على أي شيء كان الناس قبل ان يولد فلان وفلان وفلان الذين قد تمتمهم وجمعتهم أقوالهم بمنزلة نصوص الشارع ولتكنم اقتصرتم على ذلك بل جمعتوها أولى بالاتباع من نصوص الشارع؟ أفكان الناس قبل وجود هؤلاء على هدى أو على ضلالة؟ فلا بد من أن تقرروا بأنهم كانوا على هدى فيقال لكم فما الذي كانوا عليه غير آباء القرآن والسنن والآثار وتقديم قول الله ورسوله وآثار الصحابة على ما يخالفها والتحاكم إليها دون قول فلان أو رأي فلان؟ وإذا كان هذا هو الهدى فإذا بمدالحق إلا الضلال فاني تؤفكون؟ فان قالت كل فرقة من المقلدين وكذلك يقولون: صاحبنا هو الذي ثبت على ما مضى عليه السلف واتقى منها جهنم وسلك سبيلهم: قيل لهم: فمن سواه من الأئمة هل شارك صاحبكم في ذلك أو انفرد صاحبكم بالاتباع وحرمة من عداه فلا بد من واحد من الصرين؟ فان قالوا بالثاني فهم أضل سبيلا من الأنام وان قالوا بالأول فيقال فكيف وقفتم لقبول قول صاحبكم كله ورد قول من هو مثله أو اعلم منه كله فلا يرد لهذا قول ولا يقبل لهذا قول حتى كأن الصواب وقف على صاحبكم والخطأ وقف على من خالفه ولهذا أنتم موكون بنصرتة في كل مقاله وبالرد على ما خالفه في كل قاله وهذه حال الفرقة الأخرى معكم .

ويقال (ثالث عشر) فمن قلتموه من الأئمة قد نهوكم عن تعاليدهم فأنتم أول مخالف لهم . قال الشافعي : مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب اليل يحمل حزمة حطب وفيه اقمي تلده وهو لا يدري : وقال أبو حنيفة وأبو يوسف : لا يجزى لاحد ان يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلناه . وقال أحمد : لا تقلد دينك أحدا :

(١) هكذا الاصل وامله سقط شيء هنا كقوله « هو كتابه وستة رسوله »

ويقال (رابع عشر) هل أتمم موقدون بانكم غدا موقوفون بين يدي الله وتسالون عما قضيت به في دماء عباده وفروجهم وابشارهم وأموالهم وعما أقيمت به في دينه محرمين ومحللين وموجبين؟ فنقول لهم نحن موقوفون بذلك . فيقال لهم : فإذا سألكم من أين قلتم ذلك فإذا جوابكم؟ فإن قلتم : جوابنا أنا حللنا وحرمتنا وقضينا بما في كتاب الأصل لمحمد بن الحسن مما رواه عن أبي حنيفة وأبي يوسف من رأي واختيار، وبما في المدونة من رواية سحنون عن ابن القاسم من رأي واختيار ، وبما في الام من رواية الربيع من رأي واختيار، وبما في جوابات غيره هؤلاء من رأي واختيار، ولتكن اقتصرتم على ذلك أو صعدتم اليه أو سمت همتكم نحوه بل نزام عن ذلك طبقات - فإذا سئلتهم هل فقام ذلك عن أمري أو امر رسولي فإذا يكون جوابكم اذا؟ فإن أمكنكم حينئذ ان تقولوا: فعلنا ما أمرتنا به وأمرنا به رسولك فزتم وتخلصتم وان لم يمكنكم ذلك فلا بد ان تقولوا لم تأمرنا بذلك ولا رسولك ولا أئمتنا ولا بد من أحد الجوابين وكان قد .

ويقال (خامس عشر) اذا نزل عيسى بن مريم إماما عدلا وحكاهما قسطاً فمذهب من يحكم ويرأي من يقضي ومعلوم انه لا يحكم ولا يقضي الا بشرعية نينا صلى الله عليه وآله وسلم التي شرعها الله لعباده فذلك الذي يقضي به احق وأولى اناس به عيسى ابن مريم هذا الذي أوجب عليكم ان تقضوا به وتفتوا . ولا يحل لاحد ان يقضي ولا يقضي بشي سواه البتة . فان قلتم : نحن وأتم في هذا السؤال سواء . قيل : أجل ولكن تفرق في الجواب فتقول . ياربنا انك تعلم اننا لم نجعل أحدا من الناس عيارا على كلامك وكلام رسولك وورد ما تنازعنا فيه اليه . وتحاكم الى قوله وتقدم أقواله على كلامك وكلام رسولك وكلام أصحاب رسولك وكان الخلق عندنا أهون أن تقدم كلامهم وآراءهم على وحيك بل أقمنا بما وجدنا في كتابك وبما وصل إلينا من سنة رسولك وبما أفتى به أصحاب نبيك وان عدلنا عن ذلك خطأ منا لا عمد . ولم نتخذ من دونك ولا دون رسولك ولا المؤمنين وليجة ، ولم نفرق ديننا ونكن شيما ، ولم نقطع أمرنا يتنازرا ، وجمنا أئمتنا قدوة لنا ووسائط بيننا وبين رسولك في نقلهم ما بانوه إلينا عن رسولك فاتبعناهم في ذلك وقلدناهم فيه اذا أمرتنا انت وأمرنا رسولك بأن نسمع منهم ونقبل ما بانوه عنك وعن رسولك فسمعنا لك ولرسولك

وطاعة (١) ، ولم يتخذهم أرباباً تتحاكم إلى أقوالهم ونخاصم بها ونوالي ونمادي عليها بل عرضنا أقوالهم على كتابك وسنة رسوك فما وافقتهما قبلناه، وما خالفهما أعرضنا عنه وتركناه ، وإن كانوا أعلم منا بك ورسوك فمن وافق قوله قول رسوك كان أعلم منهم في تلك المسئلة فهذا جوابنا ، ونحن نناشدكم الله هل أتم كذلك حتى يمكنكم هذا الجواب بين يدي من لا يبدل القول لديه ، ولا يروح الباطل عليه ، ( لها بقية )

### باب الاسئلة والاجوبة

(س١) خطبة الجمعة بالأعجمية — الشيخ عبد الحق الاعظمي خطيب المسجد ذي التارات في بمبي ( الهند ) : هل يجوز العدول عن تلاوة خطبة الجمعة باللسان العربي الى لسان البلد التي تقام فيه الجمعة حتى ينتفع بها العموم ويحصل منها الارشاد المطلوب فان بتلاوتها بالعربية على أعجم لا يعرفون هذه اللغة فوات لفائدتها وهو ايصال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى افهامهم وتمكين آثار الوعظ في قلوبهم وانني في كل اسبوع انشي خطبة وألقيا يوم الجمعة على مئات من المسلمين وبعد الجمعة اسأل المتعلمين منهم الذين مارسوا اللغة العربية هل فهمت ما تلوتها على المنبر فيقولون لم نفهم الاكليات قليلة لاننا وان كنا قرأنا قوانين اللغة العربية وعلومها الا أننا لانفهم ما يقرأ علينا بها اللهم الا اذا نحن قرأناه وتأماناه ملياً. فأسف على تعبي في انشاء الخطبة فأردت ان اخطب فيهم بلغتهم الاوردية مع ذكر اركان الخطبة بالعربية فهل ورد في السنة وآثار السلف ما يمنع من ذلك ويحتم اداها كلها بالعربية وان لم يفهمها حاضرو الجمعة كلهم أو جلهم وبماذا كان يخطب الصدر الاول في بلاد الاعاجم اني افتحوها

(ج) قد بينا غير مرة ان معرفة اللغة العربية واجبة على كل مسلم لان فهم الدين واقامة شعائره واداء فرائضه كل ذلك موقوف على فهم هذه اللغة ولا نصح الا بها وخطبة الجمعة من أقلها تأكيذاً وثبوتاً وان كانت من أكبر الشعائر فائدة . وقد كان الذين يدخلون في الاسلام من الاعاجم على عهد الصدر الاول يادرون الى تعلم اللغة العربية لاجل فهم القرآن والسنة والارتباط بصلة اللغة التي لا تحقق وحدة الامة بدونها

(١) المنذر : يريد ان الذي يؤخذ من الاجتهاد ما ينقلونه عن الشارع لا آراؤهم